



الثورة السورية: عَبَر وَفِكَر (18): اطرقوا باب السماء

من المشاهد المبكرة التي أدهشتني في هذه الثورة المباركة صور شهداء الثورة وهم يجودون بأنفسهم ويلفظون آخر أنفاسهم، وحولهم إخوانهم يلحّون عليهم لتكون كلمات الشهادة هي آخر ما يودّعون به الحياة. بعد ذلك صارت الجماعات هي قلاع الثورة، وصارت الشعارات الربانية جزءاً لا يتجزأ من سمعونيتها، ثم صرنا نرى الناس حشوداً محتشدة في صفوف متراصة تؤدي الصلوات جماعات في ساحات الحرية في درعا وحمص وحماة وإدلب وغيرها... ولكننا رأينا أيضاً إلى جانب أولئك المصلين من وقف المتفرج، ورأينا في بعض أفلام الثورة ثواراً استقبلوا مراسلة أجنبية في يوم من أيام رمضان وهم يشربون القهوة والشاي ويأكلون ويدخنون.

لم يدهشني أولئك الذين وقفوا بغير صلاة أو الذين جاهروا بالفطر في نهار رمضان، الآخرون هم الذين أدهشوني؛ من أين جاءوا؟ ألم يلبث حزب البعث أولاً ثم عصابة الأسد ثانياً، ألم يلبثوا نصف قرن من الزمن وهم يحاربون الله ويجهدون لتفويض تدين الناس ولصرف شعب سوريا المسلم عن الإسلام؟

ولكن لا، ليس للدهشة في مثل هذا المقام مكان. ما كان لعصابة طارئة على التاريخ أن تمسح تاريخ ألف عام ونصف ألف عام، ولا ينبغي لجماعة من مهازيل البشر أن يهزّم مكرُها وعد الله ووعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. لقد اصطفى الله من يحب من عباده لعمارة الشام التي يحب، كما قال نبينا وحبيبنا محمد -عليه صلوات الله-: ((الشام صفة الله -عز وجل - من بلاده، وإليه يحشر صفوته من عباده)).

الحمد لله الذي أبطل كيد الكائدين وردّ الأمة إلى الدين. إن قلبي ليفرح ويطمئن حين أرى الإيمان في وجوه الرجال إذا نظرت إلى وجوه الرجال، وحين أسمعه في الكلام الذي ينطقه ثوار الشام، وأقرؤه في السطور التي يكتبون؛ اللهم لك الحمد. ويا أيها المؤمنون المجاهدون المرابطون في ساحات البطولات والمكرمات في أرض الشام: لقد عدت إلى الله فرفعكم الله على عدوه وعدوكم، فإن جند الله هم الأعلون، وإن ناصركم عما قريب بإذنه - تعالى -، فإن جنده هم المنصوروون،

فاعتصموا بالله وتوكلوا عليه، وضعوا فيه الأمل وأخلصوا له العمل، فإنه لا مُعينَ لكم سواه ولا ناصرٌ إلاه.

أمارأيتم كيف تخلى عنكم الآخرون وتباطئوا عن نصرتكم؟ لقد خذلكم المجتمع الدولي فترككم لمصيركم، ولعله تمنى في سره أن لا يمر شهر إلا والنظام منتصر عليكم، لكن الله ربط على قلوبكم وثبت أقدامكم فصبرتم الشهرين بعد الشهر حتى اضطربتم أولئك القوم إلى تغيير مواقفهم، وحتى انقلبوا على عدوكم من بعد ما ساعدوه، وهاجموه من بعد ما ساندوه، فإن يكونوا غيروا موقفهم بأخرى فما صنعوا ذلك حبًّا بكم فإنهم لا يحبون، ولا شفقةً عليكم فإنهم لا يشفقون، وإنما هو تدبير الله لهذه الثورة المباركة، إنه قرر الله وأمر الله وفضل الله علينا، فله الحمد أولاً وله الحمد آخرًا.

ربما جاء الفرج على يد مراقبي جامعة العرب وربما سقط النظام بسبب تدخل خارجي، ولكن لا ظنوا أن هؤلاء أو أولئك هم من نصركم، فإنما هم أدواتٌ حرّكتها الله وأسبابٌ سببها ليدفع بها غيرها من الأسباب، فإن الوارد فينا يمرض فيراجع الطبيب ويتناول الدواء، ويعلم أن الطبيب أداة تعالج بأمر الله وأن الشافي هو الله. ويحتاج الموظف فيراجع المدير ويطلب سلفة أو علاوة، ويعلم أن المدير أداة تنفق بأمر الله وأن الرازق هو الله. والشعب السوري يطالب العرب ويطلب تركيا ويطلب الغرب بالانتصار له الدفاع عنه، ولكنه يعلم أن قوى الأرض كلها أدوات تتحرك بأمر الله وأن الناصر هو الله.

يا أيها المؤمنون: لقد عرفتم الوجهة فلا تضلوا السبيل بعد اليوم. إنكم تدركون الآن أن النظام البائد لم يترك في سوريا خيراً إلا وقلبه شرًّا، فأراد أن يستبدل بحرية الناس عبودية، وبعذتهم ذلة، وبغناهم فقرًا، وبفضائلهم رذائل، وبهدائهم ضلالاً، ويقر لهم من الله بعداً عنه وجحلاً به... فإن أردتم أن تغلبوه فانقضوا خطته جملة، استرجعوا حريةكم التي سلب، واستعيديوا ما لكم الذي نهب، وأحيوا من عزّكم ما نهب، وتمسّكوا بالفضائل ومكارم الأخلاق، وعودوا إلى الله، فليس شيءٌ يغيب النظام أكثر من عودتكم إلى الله.

يا أيها المؤمنون: إن استبطأتم النصر فاستجلبوه بالتوبة والاستغفار، واستعجلوه بالإبتهال والدعاء. لقد كان السلف الصالح من هذه الأمة إذا حبس عنهم قطر السماء لجووا إلى التوبة والاستغفار، التوبة الحقيقية التي يندم المرء فيها على ما اقترف من ذنب وينقطع عنه ويعزم العزيمة الصادقة على أنه لا يعود إليه، ثم يجتمعون في صعيد واحد فيصلّون صلاة الاستسقاء ويدُعون بأخلاص الدعاء، فلا ينصرفون من موقفهم حتى تجود عليهم بالبركات السماء ولا يعودون إلا خائضين في الماء.

إن الله الذي أجرى السحاب هو الله الذي هزم الأحزاب، وكما يأتي الدعاء بالقطْر من السماء فكذلك يأتي بالنصر على الأعداء؛ فاجعلوا هذا الأسبوع أسبوع الدعاء، واجعلوا جمعتكم الآتية جماعةً تطردون فيها باب السماء. دعوا عنكم في هذه الجمعة كل هتاف وكل نشيد إلا هتافاً ونشيداً تدعون به الله وتستعينون فيه بالله، اطرقوا الباب وألحوا بالطرق، فلعلكم توافقون ساعة إجابة، ثم اصنعوا ذلك في الأسابيع الآتية، فإني لأرجو أن يتنزل النصر قريباً إن أحتم بالدعاء وثابرت على الطاعات وتمسّكت بالتوبة والاستغفار، فإنه ما طرق باب السماء بمثل هذا الصدق وبكل ذلك الإلحاح إلا أوشك أن يفتح للطارقين باب السماء.

المصدر: موقع الزلزال السوري

المصادر: